

## متابعة

## وادي خالد قاعدة متقدمة لـ «الجيش الحر» [2 / 3]

## 3 مجموعات تسيطر على الحد

في منزل قريب من الحدود اللبنانية - السورية، تنشط اجتماعات يعقدها ضباط وأفراد في الجيش السوري الحر. العشرات منهم ينتقلون عبر المعابر غير الشرعية بحرية مطلقة، بهزبون المقاتلين والسلاح وكاميرات الفيديو والجنود الجرحى بين لبنان وسوريا. تلك المجموعة وذلك المنزل ليسا الوحيدين. هناك مجموعتان أخريان، وربما أكثر، تنشطان من طرابلس إلى وادي خالد وعرسال وصولاً إلى العمق السوري

## رضوان مرتضى

في وادي خالد وقراه، كما في عرسال وجرودها، ينشط أفراد «الجيش السوري الحر» في مجموعات مسلحة ومنظمة، نسبياً، تتقاسم السيطرة على المعابر في ما بينها. يعقد هؤلاء صفقات مع المهريين لنقل جرحى الأحداث في سوريا ولشراء السلاح وتهريبه، كما يتلقون دعم جهات سياسية نافذة في المناطق التي ينشطون فيها، إلى جانب احتضان شعبي تدعمه نظريات التاريخ والجغرافيا.

بخفي بعض هؤلاء هويتهم الحقيقية تحت غطاء «نازح» سوري. يتوارون عن الأنظار نهراً وينشطون ليلاً. ولكل منهم وظائفه المحددة. «الأخبار» قابلت عناصر و«ضباطاً» ممن ينشطون ضمن ثلاث مجموعات تعمل تحت لواء هذا «الجيش». تجمع هذه المجموعات على دعم «الثورة السورية» بأي وسيلة، لكنها تختلف في ما بينها على السيطرة والنفوذ، والاتصال بين مسؤوليها يكاد يكون مقطوعاً، إذ يرى كل منهم خطأ في أداء الآخر، واستغلالاً لـ «الثورة» لتحقيق مكاسب فردية.

أمام منزل في إحدى قرى وادي خالد، توقفت السيارتان اللتان أقلنانا والدراجات النارية الثلاث التي كان كل منها يحمل ثلاثة ركاب، بعد صراع مع عورة الطريق دام بعض الوقت. انقسم الوافدون الذين ناهز عددهم العشرين في بهو المدخل الذي يضم بابين. يميناً، يطالغنا في الداخل ضوء «لوكس»، وسيلة الإضاءة المتقدمة على الشمعة حتى سنوات مضت. ديوانية واسعة تضم ما لا يقل عن ثلاثين شخصاً ينهضون مرحبين. معظم الموجودين ملتحنون، تراوح أعمالهم بين العشرين والأربعين. يُحضر أحدهم علم «الثورة السورية» ويلصقه على الحائط استعداداً للتصوير. أحد الملتئمين يبدأ الحديث بالقول: «نحن أفراد الجيش الحر. نعمل بإمرة

العقيد رياض الأسعد». هنا المجموعة الأكبر بين المجموعات الثلاث. عدد عناصرها ليس ثابتاً. يزيدون وينقصون تبعاً للمهمة التي توكل إليهم. يصل عددهم أحياناً إلى مئة مقاتل، وقد ينخفض إلى عشرة مقاتلين. يعرّف أفرادها عن أنفسهم بأنهم أعضاء في «كتيبة الظاهر بيبرس»، ويشيرون إلى أن الضابط الأرفع رتبة بينهم يحمل رتبة رائد. يُنصت الجميع إلى كلام الملتئم «عمران» كما عرّف عن نفسه. ينبئ من سياق الكلام أنه «الضابط» المسؤول عن المجموعة. يؤكد أن «غرض وجودنا في لبنان ليس عسكرياً. مهمتنا تقتصر على توفير الأمور اللوجستية»، لكنه لا يلبث أن يشير إلى أن أفراد المجموعة «يشنون بين الحين والآخر عمليات ضد أهداف داخل العمق السوري». بلغت إلى أن «السلاح الموجود بحوزتهم خفيف، لا يتعدى رشاشات الكلاشنيكوف والبنادق الأوتوماتيكية والقنابل اليدوية وقذائف آر بي جي»، إلا أنها، رغم ذلك، «كافية لخوض حرب عصابات». أبرز مهمات المجموعة، بحسب «عمران»، «تتركز على نقل الجرحى من سوريا إلى لبنان، بواسطة دراجات نارية، وعلى الدواب عبر الطرقات الوعرة، وأحياناً نحملهم على ظهورنا». يشير إلى أنه قبل نحو شهر «نقلنا أحد عشر عسكرياً جريحاً إلى الأراضي اللبنانية، ثلاثة منهم فارقوا الحياة بسبب طول الطريق ووعورتهم». أما في ما يتعلق بتهريب السلاح، فقد «خفّت وتيرته في الآونة الأخيرة»، نافية حصول مجموعته على السلاح من المهريين، رغم تأكيد آخرين ذلك، ومشيراً إلى عمليات شراء سلاح «من الجيش النظامي نفسه داخل سوريا».

يتحدث «عمران» عن تشديد الجيش السوري قبضته على الحدود وزرعها بالألغام، لكنه يؤكد أن ثلاثة خبراء متفجرات، انشقوا عن الكتائب الهندسية والتحقوا بمجموعته، «تمكنوا من تفكيك جزء كبير من الألغام الإيرانية الصنع لتوفير ممر آمن للأشخاص

تمكنوا من تفكيك جزء كبير من الألغام لتوفير ممر آمن للأشخاص والجرحى واعدادوا زرعها في طرقات يسلكها الجيش السوري (الأخبار)

### قيادي يتهم زميله بسرقة أموال النازحين وآخر بالعمالة للنظام ودعوات إلى إيجاد قائد لحماية الثورة من الدخلاء

والجرحى، ونحن نعيد زرعها في درب كتائب الأسد»، مشيراً إلى أن «عمليات الرصد والاستطلاع التي نقوم بها تجعلنا على اطلاع على حركة الدوريات وتوقيت مرورها، مما يجعلنا نعمل براحة تامة أثناء تفكيك الألغام أو زرعها».

ينفي «عمران» أي علاقة لهم بتنظيم القاعدة، ورغم إقراره بأن كل أفراد مجموعته من الطائفة السنية، بشدّد على «وحدة الشعب السوري»، مشيراً إلى أن «هناك مسؤولين في النظام من الطائفة السنية، وسنحاسب كل من لُطخت بدهاء بالدماء، لن يُستثنى أي كان من ذلك، سنياً كان أم علويّاً». وعن الأوضاع الميدانية، يقول، بثقة، إنها «في مصلحتنا. وكل يوم صمود بمثابة مسمار في نعش النظام»، مؤكداً «أننا لن نلقي السلاح مهما طال صمود النظام. إن لم نحمل شعبنا، فمن سيفعل؟ الجامعة العربية ببروتوكولاتها أم الدول العربية التي تشاهد جرائم قتل الشعب السوري يوماً على شاشات التلفزة من دون أن تحرك ساكناً؟».

الحكومة اللبنانية، برأي «الضابط المقتنع»، هي «سورية بامتياز»، بسبب «خضوعها لحزب الله التابع بدوره للنظام السوري». ولذلك، «لن تكون لنا علاقة مع هذا الحزب بعد سقوط النظام، إلا إذا تراجع عن موقفه وعنصريته وطائفيته»، مستغرباً «كيف يكون حزب الله لبنانياً فيما انتماؤه المطلق لإيران التي تبعد عنه آلاف الكيلومترات». السؤال عن حزب الله يستفزّ الرجل لـ «يكشف» أن «مجموعات عسكرية تابعة لحزب الله وجيش المهدي (العراقي) والإيرانيين تشارك في المذابح في سوريا»، وأن «عشرات المقاتلين من عناصر

الحزب ومن الإيرانيين قُتلوا في درعا وعرضت صورهم على القنوات الفضائية». وعن أدلته على ذلك، يقول «إن لهجاتهم وأشكالهم تعرّف عنهم. فالإيرانيون عربيتهم مكسرة ولا يحملون أوراقتاً ثبوتية، أما مقاتلو حزب الله، ففي إمكان أيّ سوري تمييز اللبناني من شكله»، «كاشفاً» أيضاً أن «في حوزتنا في سوريا أسيرين من حزب الله، أحدهما من آل زعيتر».

مجموعة أخرى من المقاتلين المنضوين تحت لواء «الجيش السوري الحر»، تضم بين ثلاثين وأربعين مسلحاً، يترعّمها ضابط منشق عن الجيش السوري برتبة رائد يعرّف عن نفسه باسم «أبو سامر». يتركز نشاط هذه المجموعة، أساساً، على نقل «جرحى الثورة السورية للعلاج في لبنان»، إلا أن بعض أفرادها يهيمسون بأنهم ينقلون، أيضاً، أسلحة إلى المقاتلين في الجانب السوري، يقول «أبو سامر»، متهمّاً، إنه «مهزّب جرحى». يتركز عمل مجموعته على نقل الجرحى عبر طرق عرسال ووادي خالد إلى مستشفيات الشمال في حلبا والقبيات وطرابلس. يشير إلى أن «معظم الجرحى الذين يُنقلون بهذه الطريقة هم من العسكريين الذين يستحيل عليهم تخطي الحدود الشرعية»، كما «نعمل على تهريب حقن الكزاز وأكياس الدم»، مشيراً إلى أن التنقل عبر الحدود «يكون عادة بعناد عسكري كامل تحسباً لأي كمين قد يستدعي اشتباكاً مسلحاً».

أما وسيلة نقل الجرحى، فهي، بحسب «أبو سامر»، غالباً ما تكون «حملاً على الأكتاف ومناقلة بين الشباب». ويضيف: «لن أدخل في تفاصيل الطرق لأنها ستزور بالألغام في اليوم التالي». ولدى سؤاله: كم جريحاً نقلت مجموعتك منذ بدء الأحداث؟ يرد: «يجب إعادة صياغة السؤال ليكون على النحو الآتي: كم جريحاً مات معك على الطريق؟ كم جريحاً انفجرت بهم الألغام؟»، مشيراً إلى أن هناك «عشرات الجرحى الذين نرّف دمهم حتى



### مفكك الألغام لبناني

قبل وصول اثنين من خبراء المتفجرات الذين يعملون لمصلحة «الجيش السوري الحر» إلى الأراضي اللبنانية، كان أفراد هذا «الجيش» يستعينون بشباب لبناني مقيم في وادي خالد. البداية كانت عندما تطوّر الشاب لتفكيك أحد الألغام المزروعة. عندها قرر الجنود المنشقون الاستعانة به لتفكيك الألغام الباقية، لكنه طلب منهم أجراً يومياً مقابل الاستمرار في العمل. وما لبث أن تراجع عن قراره. فعرض عليهم تفكيك الألغام مجاناً شرط حصوله على الألغام التي سيفككها. رفض عناصر «الجيش الحر» عرضه، لأنهم يريدون إعادة زراعة الألغام التي يفككونها في طرقات تسلكها دوريات الجيش النظامي. فعرض عليهم أن يعيد تركيب الألغام التي يفككها أفراد «الجيش الحر» مجاناً، مقابل احتفاظه بالألغام التي يفككها بنفسه. أما سبب

إصراره على الاحتفاظ بالألغام، فيعود إلى أن سعر اللغم يبلغ قرابة 400 دولار أميركي بحسب الشاب نفسه. وتجدر الإشارة إلى أن خبير الألغام اللبناني يحتفظ في منزله بقرابة مئة لغم تمكّن من تفكيكها عن الحدود اللبنانية السورية.